

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



من أفضل الأعمال، وأحسن الأقوال الدعوة إلى عبادة الله تعالى، وكفاها فخراً وفضلاً وشرفاً أنها عمل الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم من المؤمنين الصادقين، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108]، وحرصوا كل الحرص على أن يستجيب الناس لدعوة الإيمان، مستخدمين وسائل متعددة، وأساليب متنوعة، فقال نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح:].

فأساليب الدعوة هامة في نجاح الداعي وإجابة الناس لدعوته، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159].

فإذا كان هذا مع خيرة الدعاة وإمام المتقين، محمد الصادق الأمين، فكيف بنا إن لم نسع لاستخدام الأسلوب الأمثل والأحسن عند دعوة الناس إلى الله رب العالمين. يقول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]، هذه الآية رسمت المنهج الأمثل في الدعوة إلى الله، وبيّنت حال المدعوين والوسائل التي تعين في الدعوة إلى الله، فتعالوا لنقف على أساليب الدعوة عند النبي صلى الله عليه وسلم، فتتعلم من المعلم الأول أدب الدعوة إلى الله تعالى:

1 - التربية بالقصة: فالقصة أمر محب للناس، وترك أثرها في النفوس، ومن هنا جاءت القصة كثيراً في القرآن، وأخبر تبارك وتعالى عن شأن كتابه فقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف/3]، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ [يوسف/111] وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف/17] وقد سلك صلى الله عليه وسلم هذا المنهج واستخدم هذا الأسلوب، وحفظت لنا السنة النبوية العديد من المواقف التي يحكي

فيها النبي صلى الله عليه وسلم قصة من القصص، فمن ذلك: قصة الثلاثة الذين آواهم الغار، وقصة الذي قتل مائة نفس، وقصة أصحاب الأخدود وغيرها.

2- التربية بالموعظة:

كما القصة كذلك الموعظة لها أثرها البالغ في النفوس، لذا لم يكن صلى الله عليه وسلم يغيب عنه هذا الأمر أو يهمله فقد كان كما وصفه ابن مسعود: ((إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ؛ كَرَاهِيَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا))، وأحيانا كانت موعظته قصيرة، وأحيانا يطيل الموعظة لطارئٍ أو حادثٍ مهم فعن عمرو بن أخطب قال: ((صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ، ثُمَّ صَعِدَ الْمَنْبِرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى صَلَاةِ الظُّهْرِ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى بِنَا الظُّهْرَ، ثُمَّ صَعِدَ الْمَنْبِرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى صَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ صَعِدَ الْمَنْبِرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى الْمَغْرَبِ، فَمَا تَرَكَ شَيْئًا مِمَّا يَكُونُ إِلَّا أَخْبَرَ بِهِ أَصْحَابَهُ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، يَقُولُ: فَأَعْلَمْنَا أَحْفَظْنَا))

3 - الجمع بين الترغيب والترهيب:

النفس البشرية فيها إقبال وإدبار، وفيها فتور ونشاط والمنهج التربوي الإسلامي يتعامل مع هذه النفس بهذه الاعتبار، الجمع بين الترغيب والترهيب، والرجاء والخوف. والمتأمل في الواقع يلحظ أننا كثيراً ما نعتني بالترهيب ونركز عليه، وهو أمر مطلوب والنفوس تحتاج إليه، لكن لا بد أن يضاف لذلك الترغيب، من خلال الترغيب في نعيم الجنة وثوابها، وسعادة الدنيا لمن استقام على طاعة الله، وذكر محاسن الإسلام وأثر تطبيقه على الناس، وقد استخدم القرآن الكريم هذا المسلك فقال تعالى: {ولو أن أهل القرى}، {ولو أنهم أقاموا التوراة}.

4 - الإقناع العقلي:

عَنْ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ: ((إِنَّ فَتَى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أئذَنْ لِي بِالزَّانَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: اذْنُهُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمَّكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأَخْوَاتِهِمْ. قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخْوَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِحَالَاتِكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِحَالَاتِهِمْ.

قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ

الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ))، إن هذا الشاب قد جاء والغريزة تتوقد في نفسه، مما يدفعه إلى أن يكسر حاجز الحياء، ويخاطب النبي صلى الله عليه وسلم علناً أمام أصحابه، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم المربي المعلم لديه جانباً لم يدركه فيه أصحابه فما هو؟

لقد جاء هذا الشاب يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان قليل الورع عديم الديانة لم ير أنه بحاجة للاستئذان بل كان يمارس ما يريد سراً، فأدرك صلى الله عليه وسلم هذا الجانب الخير فيه، فماذا كانت النتيجة: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء

5 - استخدام الحوار والنقاش:

وخير مثال على ذلك موقفه صلى الله عليه وسلم مع الأنصار في غزوة حنين بعد قسمته للغنائم، فقد أعطى صلى الله عليه وسلم المؤلفلة قلوبهم وترك الأنصار، فبلغه أنهم وجدوا في أنفسهم، فدعاهم صلى الله عليه وسلم، وكان بينهم وبينه هذا الحوار الذي يرويه عبد الله بن زيد فيقول: لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفلة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً فكأنه وجد إذ لم يُصِبْهُمَ مَا أَصَابَ أَوْ كَاتَبَهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمَ مَا أَصَابَ النَّاسَ فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: ((لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ مَا أَفَاءَ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمَوْلَفَةِ قُلُوبَهُمْ وَلَمْ يَقْسِمِ أَوْ لَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئاً فَكَانَهُ وَجَدَ إِذْ لَمْ يُصِبْهُمَ مَا أَصَابَ أَوْ كَاتَبَهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمَ مَا أَصَابَ النَّاسَ فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالاً فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلْفَكُمُ اللَّهُ بِي وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي. قَالَ كُلَّمَا قَالَ شَيْئاً قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ قَالَ: مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا. قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ قَالَ: لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ جِئْنَا كَذَا وَكَذَا أَلَا تَرَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُمْ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكَتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ))

6 - الاغلاظ والعقوبة: وقد يُغلظ صلى الله عليه وسلم على من وقع في خطأ أو يعاقبه:

وقد بوب البخاري رحمه الله في صحيحه: ((باب الغضب في الموعدة والتعليم إذا رأى ما يكره)).

عن عبد الله بن عباس: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى خَاتِماً مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ: يَعْمَدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ. فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم: خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ. فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا آخِذُهُ أَبَدًا، وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم))، وعن سلمة بن الأكوع: أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: ((كُلْ يَمِينَكَ)) قَالَ: لَا اسْتَطِيعُ. قَالَ: ((لَا اسْتَطَعْتَ))، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. إِلَّا أَنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ هَدِيَةَ الرَّاتِبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَانَ الرَّفَقُ هُوَ الْهَدْيُ الرَّاتِبِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكِنْ حِينَ يَقْتَضِي الْمَقَامَ الْإِغْلَاطَ يَغْلِظُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

7 - الهجر: واستعمل النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب الهجر حين تخلف كعب بن مالك وأصحابه عن غزوة تبوك، فهجرهم وأصحابه، لا يكلمهم أحد أكثر من شهر حتى تاب الله تبارك وتعالى عليهم. إلا أن استخدام هذا الأسلوب لم يكن هدياً دائماً له صلى الله عليه وسلم، والمناطق في ذلك هو تحقيقه للمصلحة، فمتى كان الهجر مصلحة وردع للمهجور شرع ذلك وإن كان فيه مفسدة وصد له حرم هجره.

8 - استخدام التوجيه غير المباشر:

فعن أنس رضي الله عنه أن نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر فقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا أكل اللحم وقال بعضهم لا أنام على فراش فحمد الله وأثنى عليه فقال: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكنني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)).

ب - وأحياناً يثني على صفة في الشخص ويحثه على عمل بطريقة غير مباشرة، وأحياناً يخاطب غيره وهو يسمع.

9 - استئثار المواقف و الفرص: ((عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبِيًّا، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيِّ قَدْ تَحَلَّبُ ثَدْيَهَا، تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ، أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ قُلْنَا: لَا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ فَقَالَ: اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ، مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا))، فلا يستوي أثر المعاني حين تربط بصور محسوسة، مع عرضها في صورة مجردة جافة، وقد يكون الموقف ظاهرة كونية مجردة، لكنه صلى الله عليه وسلم يستثمره ليربطه بهذا المعنى عن جرير بن عبد الله قال: ((كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ)).

حين سأل أبي بن كعب: ((يا أبا المنذر أي آية في كتاب الله أعظم؟ قلت: آية الكرسي؟ فقال لي: ليهنك العلم أبا المنذر فوالذي نفسي بيده إن لها للساناً يوم القيامة يُقدّس الله عند ساق العرش))، والتشجيع والثناء حث للآخرين، ودعوة غير مباشرة لهم لأن يسلكوا هذا الرجل الذي توجه الشاء له.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين